صدى وراء السور الحديدي

جامعة عربية أم اتحاد فرنسي؟

للأستاذ عبد الهادي الشرايبي

يتحدث الرأي العام الفرنسي حكومة وشعبا ، في صحفه ومجتمعاته عن الاتحاد الفرنسي الذي أحدثه الدستور الجديد[1] وحار في كيفية تطبيقه على بلدان ما وراء البحار . كأنما يحاول بذلك أن يسدل الستار على تاريخ الاستعمار القاتم المظلم ، ليبدله بلون آخر قد يكون أشد هولا . وأشنع عاقبة .

إن نقطة الضعف في هذا القرار هي أنه لم يحترم إرادة هذه الشعوب ، ولم يستشرها ليأخذ رأيها بالموافقة أو الرفض ، حتى إذا شرع في تطبيقه كان مبنيا على أساس متين ، واستطاع أن يؤتي ثماره الطلوبة . على أن الحكومة الفرنسية ، فيما يظهر ، كانت أعمق تفكيرا ، فلم تقدم على اتخاذ هذا القرار إلا بعد أن خبرت الرأي العام في هذه البلاد ، وخرجت مقتنعة بقرام شعوبها بالحكم الفرنسي ، وهيامها بكل ما تقدمه إليها الدولة الفرنسية ، وما «تضحي» به في سبيل سعادتها وتطورها من مال ورجال وعتاد !

أما الشعب المغربي فإنه بدوره يزداد كل يوم إيمانا بفوائد هذا « الاتحاد الفرنسي » وما سيجره إليه في مستقبل الأيام من خير ورفاهية ونعيم . خصوصا بعد « حوادث الدار البيضاء » التي تركت ألسنة الناس تسبح بحمد الإدارة الفرنسية ، وحسن تصرفها ، وسداد موقفها ! ! فقد فتحت هذه الحوادث الأعين ، وعرفت الناس مزايا الدخول في «الاتحاد الفرنسي» عن طيب خاطر ، وأنهم سيعيشون في عهده في ظلال الأمن والطمأنينة والسعادة والسلام! إن هذا الحدث الجديد الذي راد ربط مصير نابه ، يتطلب منا أن نقف عنده قليلا ، ونتدبره على ضوء التفكير السليم ، والمنطق الصحيح . فالشعب المغربي ، ككثير من الشعوب

(١) (الرسالة) : جاء في المادة الثانية من دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عن الاتحاد الفرنسي ما نصه : «يتكون الاتحاد الفرنسي من الجمهورية الفرنسية المشتملة على فرنسا ذاتها والمقاطعات والأراضي فيما وراء البحار من جهة ، أو من الأراضي والدول الشريكة في الاتحاد من جهة أخرى» .

انقسم النادي إلى أندية عدة ظهرت باسم «الرابطة الموسيقية» و«دار الألحان والتمثيل» و «المعهد الموسيقي» و«دار الموسيقى الوطنية» و«معهد الآداب والفنون» و«ندوة أصدقاء الفنون» بيد أن هذه الأندية جميعاً لم تؤلف فيما بينها وحدة فنية عامة ، فأعضاؤها على كثرتهم ، من الهواة الذين تخذوا الفن ألهية خاصة ، وقد سعى الكثيرون من الذين يغارون على هذا الفن ، إلى توحيد هذه الأندية فما قدر أحد منهم على ذلك ، ولذا أخذت هذه الأندية تنحل الواحد إثر الآخر بسبب الضائقة المالية ،ولم يبق منها ثابتاً قوياً إلا الأقل ، وانقلب بعضها إلى دور للعب الورق والنرد وغيرها من ألعاب المقاهي، ولو أن أولي الأمر مدوا يد العون لهذه الأندية وساعدوها بالمال والرجال لعاشت في تقدم وازدهار ولضارعت بنهضتها أندية العالم الكبرى ، لأن مواهب رجال الفن عندنا مشهود لها بالسمو والقوة ، وقد زادت قوة في هذا العهد الاستقلالي الجديد بعد أن ذهب الأجنبي عنا لا رده الله ، ومما يسرنا اليوم أن نرى القائمين على محطة الاذاعة في دمشق قد افتتحوا مدرسة فنية لتعليم ناشئة البلاد النوتة الموسيقية على أحدث الطرق ، وإحياء موات الموسيقى القديمة والموشحات الأندلسية الرائعة ، وتعاقدت مع أساطين الفن في دمشق وحلب الذين يندر وجود مثلهم في الأقطار العربية الشقيقة ، وكل من ينبغ من طلاب هذه المدرسة يؤخذ فوراً إلى محطة الإذاعة ليذيع منها فنه ويظهر مواهبه ، وهذا مما يبعث على التنافس الحميد بين الطلاب ، ونحن نرجو أن تعيد دمشق مجد الأندلسيين الزاهر في مختلف الضروب الموسيقية والأصوات والأنغام ، والرقص المسمى رقص « السماح » وبعث هذه النهضة عندنا هو نائب دمشق السيد فخري البارودي الذي يشتغل اليوم في وضع مؤلف قيم شامل في الموسيقى العربية ، ومدير الاذاعة الفنان السيد شفيق شبيب ، والمدير العام الشاعر المعروف الأستاذ سليم الزركلي . وحبذا لو أن محطة الاذاعة فاوضت الأستاذ توفيق الصباغ نابغة « الكمان » لا في سورية وحدها بل في الشرق العربي كله ، وهو الذي عرفته مصر في المؤتمر الموسيقي الذي انعقد في عهد جلالة الملك فؤاد رحمه الله . وكان جلالته معجباً بمواهب الأستاذ ، فالأمم لا تنهض إلا إذا قدرت نابغيها حق قدرهم وأحلتهم النازل اللائقة بهم .

دمشق — معين كنعان

الإسلامية العربية التي أريد لها أن تسمى « شعوب فرنسا ما وراء البحار » هو الآن في مفترق الطريق . وأمامه : أن يختار الانضمام إلى جامعة دوله العربية ، أو الاندماج في « الاتحاد الفرنسي » وشعوب فرنسا ما وراء البحار .

أما جامعة الدول العربية فتربطنا بها ، أو تربطها بنا ، روابط متينة راسخة الاعراق والأصول ، روابط كونتها مختلف العوامل النفسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، على ممر العصور والأحقاب وجمعتنا بها عوامل لا انفصام لها ، ولا يمكن أن تعمل فيها يد الدهر ، مهما كانت قاسية : فالدين واحد ، وهو الذي جمع الهندي والمغربي والصيني واليوغوسلافي في صعيد واحد ، وهو الذي وجههم جميعاً إلى قبلة واحدة ، ووحدهم في عقيدة واحدة . والتاريخ قد جمعنا في البأســـاء والسراء ، فتنعمنا بأيام عزه وازدهاره ، كما تحملنا آلامه واقتسمنا مرائره وشدائده .

أما الوضع الجغرافي فإنما هو سلسلة واحدة متصلة الحلقات أبدعتها يد الإله متماسكة البناء . ممتدة من ضفاف البحر الأحمر إلى شواطىء المحيط الأطلسي ، وهي وضعية اقتصادية وسياسية ممتازة قلما ظفرت بها أمة من أمم الأرض .

أما العوامل النفسية التي كونها القرآن ، ومتنت عراها تعاليم الإسلام ، وصهرتها حوادث الأيام ، فاننا نلمس آثارها في كل يوم ، ونشاهد نتائجها عند كل حادث . فوقائع فلسطين ، ومعارك الهند الصيني والهند الهولاندية ، تدمي قلوب المغاربة ، كحوادث المغرب ، والدار البيضاء ، عند شعوب الشرق الأدنى والأقصى . وقد نشأ عن هذه العوامل الكثيرة المختلفة ، عوامل سياسية ربطت مصير الأمم العربية بعضها ببعض ، وجعلت سعادة البعض منها متوقفة على سعادة الكل ، بحيث لا يطمئن لاحداها خاطر ، ولا يقر لها قرار ، مهما نالت من أسباب السيادة والعزة ، إذا كان البعض الآخر لا يزال أنينه يتردد صداه في أنحاء المعمورة ، تحت وطأة الاستعمار الثقيلة .

هذه طائفة من الأسباب التي تربطنا بجامعة الأمم العربية ، وتجعل مصيرنا مرتبطاً بمصير أخواتنا الشقيقات ، بلاد الشرق العزيزة ، فلنلق الآن نظرة أخرى على ما يمكن أن يربطنا بالاتحاد الفرنسي من أسباب وما يمكن أن يجمعنا به من علائق ومصالح .

أما صلاتنا بهذا الاتحاد ، أو بالأحرى ، بالدولة المبتكرة له ، فتبتدىء منذ نيف وثلاثين سنة . وإن نظرة عجلى على هذه الفترة من تاريخنا القوى كافية لبيان ماهية هذا الاتحاد ، وشرح الأسس التي يراد بناؤه عليها . فهي فترة مهولة ، مليئة بالنار والدم والحديد ، وبمعارك وحروب ، وسجون ومنافٍ ، وأنواع من الارهاق والعسف ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى في العصور التي تسمى « مظلمة » !

هذه نظرة قصيرة على كلا الاتجاهين ، وعلى الطريقين المفتوحين أمامنا . فما الذي يختاره الشعب المغربي من ذلك : سبيل « الجامعة العربية » أم سبيل « الاتحاد الفرنسي » الجديد ؟

لقد تفضل جلالة مولانا الملك ، ترجمان الأمة الصادق ، ولسانها الناطق ، فأجاب عن هذا السؤال الذي يختلج في صدر كل مغربي ، وقلب كل عربي ، في تصريحه الأخير لرجال الصحافة ، قبيل مغادرته لمدينة طنجة . قال جلالة الملك المحبوب :

« ... ومن جهة أخرى ، فإن المغرب يحرص أشد الحرص على تمتين صلات الود مع جميع البلاد التي حاربت من أجل الحرية ، ولا تزال تواصل الكفاح في سبيل نجاح قضيتها . ان المغرب ليأمل بكل ما أوتي من قوة ، أن ينال حقوقه كاملة . ومن الواضح الجلي أن المغرب بلد عربي ، مرتبط مع بقية بلاد الشرق العربي بروابط قوية متينة ، وإنه يرغب في أن تتقوى هذه الروابط يوما بعد يوم ، خصوصاً منذ أن أصبحت « الجامعة العربية » مؤسسة تلعب دوراً هاما في السياسة العالمية . وإننا لمقتنعون بأن الصلات الثقافية ستساهم بقسط وافر في تحقيق هذا الاتحاد . وهذه هي الأسباب التي تحدو بنا إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالي لإنارة عقول الشعب المغربي ، تكون برامجها مستمدة من برامج التعليم في جامعات القاهرة والشام ولبنان والعراق .

إن همنا الأكبر منذ اعتلائنا العرش المغربي هو أن نمنح رعايانا نعمة التمتع بالحقوق الديموقراطية التي يصبون إليها . وإن أملنا اقوى في الحصول على هدفنا الأسمى الذي سنواصل السعي لإدراكه »

هذه تصريحات جلالة الملك المفدى لرجال الصحافة الأجنبية . وهي كما ترى ـ قد حددت الاتجاه ، وكانت القول الفصل في هذه المسألة التي أثارت مخاوف وشكوكا ، سرعان ما انقشعت وتبخرت في مهاب الرياح . فما على شعبنا العزيز ، إلا أن يقتفي الطريق التي اختطها له جلالة العاهل العظيم ، والرائد الخبير ، ويسير على النهج الذي سنه له . واضح المعالم ، موفق الخطى .

المغرب الأقصى — عبد الهادي الشرايبي